قضايا النقد الأدبي القديم ثانية ماستر أدب عربي قديم

المحاضرة رقم 2

قضية الانتحال عند ابن سلام الجمحي والجاحظ

مقدمة:

تُعدّ قضية الانتحال في الشعر العربي من القضايا النقدية الكبرى التي شغلت القدماء والمحدثين على حدٍّ سواء. وقد برز اسم محمد بن سلام الجمحي (ت 231هـ) بوصفه أحد أوائل النقاد الذين تناولوا هذه الظاهرة بوعيٍ علميٍّ واضح، من خلال كتابه الشهير "طبقات فحول الشعراء"، الذي يُعدّ من أقدم المصادر النقدية والطبقية في الأدب العربي. كما برز اسم الجاحظ من خلال كتابيه البيان والتبيين، ونظرته الثاقبة لقضايا النقد العربي القديم المختلفة، ومنها قضية الانتحال في الشعر.

أولاً: لمحة عن ابن سلام الجمحي

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي، وُلد في البصرة ونشأ فيها، ثم انتقل إلى بغداد.

عُرف بثقافته الواسعة وحرصه على التوثيق والتحقق من الأخبار والروايات.

اتسم نقده بقدرٍ من المنهجية التاريخية، وبمحاولة التمييز بين الصحيح والمكذوب في الشعر الجاهلي والإسلامي.

ثانياً: مفهوم الانتحال في الشعر

الانتحال لغةً: الادّعاء والاختلاق، يقال: انتحل الكلامَ إذا ادّعاه لنفسه. واصطلاحاً عند النقاد: نسبةُ شعرٍ إلى شاعرٍ لم يقله، أو وضعُ شعرٍ على لسان شاعرٍ

قديم، أو سرقةُ أبياتٍ من شاعرٍ ونسبتها إلى آخر.

وقد ارتبطت ظاهرة الانتحال بانتشار الرواية الشفوية وغياب التدوين في العصور الأولى، مما سمح للرواة والوضّاعين بتغيير النصوص أو نسبتها إلى غير أصحابها.

ثالثاً: موقف ابن سلام من الانتحال

يُعدّ ابن سلام أول ناقد عربي تناول قضية الانتحال تناولا نقديًا علميًا، فحاول التمييز بين الصحيح والمزيف في الشعر.

ومن أبرز ملامح موقفه:

أ- التشكيك في صحة بعض الشعر الجاهلي

قال ابن سلام: "وفي الناس من يروّج هذا الشعر المنحول، فيرويه عن غير أهله".

فهو يشير إلى أن الشعر المنحول شائع، وأن بعض الرواة أسهموا في ترويجه.

ب- اعتماده على التوثيق والسند.

كان يعتمد على الإسناد والثقة بالرواة، فلا يقبل الرواية إلا عن الثقات المعروفين بالصدق والدقة.

ج- تمييزه بين الرواة

قسم الرواة إلى ثقات وضعفاء، مثل حماد الراوية وخلف الأحمر، اللذين اتُّهما بالوضع والانتحال.

منهجه النقدي في التمحيص:

استخدم المقارنة بين الأشعار والألفاظ والمعاني لمعرفة الأصالة، فقال في بعض المواضع إن هذا الشعر "مضطرب الألفاظ" أو "غريب على لسان القبيلة"، مما يدل على حسٍّ لغوي نقدي دقيق.

رابعاً: أسباب الانتحال كما رآها ابن سلام

رأى ابن سلام أن أسباب الانتحال متعددة، منها:

- الرغبة في مدح القبائل أو مفاخرتها.
- تقرّب الشعراء والرواة من الخلفاء والأمراء.
- حب الشهرة والرغبة في جمع المال.
- رغبة الرواة في زيادة الرواية وتنويعها.

خامساً: قيمة موقف ابن سلام

- أسّس لوعيٍ نقديٍّ مبكر بأهمية التحقق من النصوص.
- اعتُبر أول من نبه إلى خطورة الوضع في الشعر الجاهلي.
- مهّد الطريق للدراسات اللاحقة، مثل دراسات الأصمعي وابن قتيبة والجرجاني.
- وضع نواة المنهج التاريخي النقدي في دراسة الأدب العربي.

سادساً: أثره في الدراسات الحديثة

استفاد المستشرقون والمحدثون من طرح ابن سلام، مثل:

طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي"، الذي بنى كثيراً من فرضياته على فكرة الانتحال. كما اعتمد عليه باحثون معاصرون في تحقيق الشعر الجاهلي وتمييز الزائف من الصحيح.

خاتمة:

لقد كانت قضية الانتحال عند ابن سلام الجمحي خطوةً رائدة في نشأة النقد الأدبي العربي العلمي، إذ لم يكن ناقداً ذوقياً فحسب، بل كان محققاً ومؤرخاً وناقداً نصياً سبق عصره.

ويظلّ كتابه طبقات فحول الشعراء شاهدًا على وعيٍ نقدي مبكر، أسّس لثقافة التوثيق والتحقيق في التراث العربي.

الانتحال في الشعر عند الجاحظ

مقدمة:

يُعدّ الجاحظ من أبرز نقّاد الأدب في القرن الثالث الهجري، ومن أكثرهم عمقاً في تناول الظواهر الأدبية واللغوية. وقد تناول في كتبه، ولا سيما البيان والتبيين والحيوان، قضية الانتحال في الشعر، وهي من القضايا الكبرى في النقد العربي القديم، إذ تتصل بمصداقية النصوص الشعرية المنقولة عن الجاهليين والإسلاميين، وبحدود الأصالة والإبداع في الشعر العربي.

أولا: موقف الجاحظ من الانتحال

تناول الجاحظ ظاهرة الانتحال بنظرة نقدية تحليلية، إذ لم يكتفِ بإنكار وجودها، بل سعى إلى تمييز الصحيح من المنحول، واستعمال العقل والذوق معيارين في النقد. وقد أشار إلى أن كثيراً من الشعر الجاهلي دخلته الأيدي بالتصرف والوضع، وأن الرواة أحياناً زادوا أو أنقصوا من القصائد، إمّا لحاجات لغوية أو سياسية أو قبلية. ومن أقوال الجاحظ الدالة على موقفه:

– "وليس كل ما رُوي من الشعر الجاهلي صحيحاً، فإن في الناس من يتزيد ويكذب". (البيان والتبيين)

كما لاحظ أن اللغة والأسلوب يمكن أن يكشفا زيف الشعر، فقال إن من دلائل الانتحال أن تكون الألفاظ حديثة أو غريبة عن بيئة الشاعر المنسوبة إليه.

ثانيا: منهج الجاحظ في كشف الانتحال

اعتمد الجاحظ في نقده على منهج عقلي لغوي يقوم على:

أ– تحليل الأسلوب: فالشعر المنحول لا ينسجم في لغته وصوره مع روح العصر الجاهلي.

ب- النظر في المعنى والمضمون: فالموضوعات الإسلامية مثلاً لا يمكن أن تصدر عن شاعر جاهلي.

ج- الاحتكام إلى الذوق الأدبي والعقل: إذ رأى أن الناقد البصير يمكن أن يدرك التكلّف في المنحول.

د- التمييز بين الروايات: فاعتمد على التواتر والرواة الموثوقين.

ثالثا: أثر موقف الجاحظ في النقد العربي

كان للجاحظ أثرٌ كبير في تأسيس الوعي النقدي العلمي عند العرب؛ إذ فتح باب الشك والتحقيق في النصوص المنقولة، ودعا إلى:

- عدم التسليم بكل ما يُروى.
- إعمال العقل في التمييز بين الصحيح والمزيف.
- إدخال النقد النصي واللغوي في دراسة الأدب.

وبذلك يمكن اعتباره رائداً في منهج التحقيق الأدبي قبل أن يُعرف هذا المصطلح حديثاً.

خاتمة:

إن موقف الجاحظ من الانتحال في الشعر لم يكن موقفَ ناقمٍ على التراث، بل موقف المصلح والناقد الواعي الذي أراد حماية الشعر العربي من الزيف، وتنقية تراث الأمة من الدخيل.

فقد أسّس لمنهج نقدي متين يقوم على العقل واللغة والتذوق، مما جعله من أوائل النقاد العرب الذين تعاملوا مع النص بوصفه ظاهرة فنية قابلة للتحليل والتقويم.